الباب الحادى عشر

عثرات فى الطريق

المقال الأول
الأثر الجميل والجانب المضيء

الصبر مصباح الأثر :

انتابنى حين كنت أشاهد أحد البرامج فى مجال الاجتماعيات، وكان يتحدث عن موضوع الزواج وعلاقة الرجل بالمرأة، وقضية التعدد، والخلافات الأسرية، وكثير من العناصر التى طرحت، وكان فى الحلقة مداخلات كثيرة بين مؤيد ومحايد ورافض، وفى حضور أخصائيين نفسانيين واجتماعيين، وما زاد انتباهى فى المداخلات لسيدة عجوز بلغت من العمر ما تجاوزت الخمس والستون وهى أرمل، ودون الدخول فيما قالت ولكن هى نادمة على كل لحظة لم تستطع أن تستمتع مع زوجها لأنها لم تكن ترى غير الجوانب السلبية، هذه نقطة، النقطة الثانية انها لم تكن بالعاطفة التى لم تشعر بها مثل ما تشعر بها الآن بعد وفاة زوجها منذ عام، لدرجة أنها بكت على فراقه، رغم أنها لم تكن على انسجام تام معه، تعمقت داخل نفسى لأبنى قلادة عنوانها مؤلف من سلسلة معنونة بحلقات (المخزون الجميل، لغة الاشتياق، الجانب المضيء فى الأثر) فقلت: كيف اجمع بين كل هذه العناصر وما هو الشيء الذى يربط بينها، وفى خيالات الفكر ظهرت أمامى عبارة تقول من داخل نفسى، الصبر مصباح الأثر المضاء والمخزون الجميل، وهو ما يدفعنا إلى أن نتكلم بلغة اشتياق لا نفقدها، وأنه بفقدان الصبر نفقد كل ما هو إيجابى لأننا نرى من الجانب السلبى أو المظلم، فكم نظرت هذه السيدة للجانب المظلم طيلة أكثر من أربعين عاما فى زوجها، ولم تنظر إلى الجانب المضيء وندمت لأنها لم تستمع بالمضى حتى ولو قل فى الظلمة.

إن الصبر جامع شامل، وهو من أشق الأمور فقد قال تعالى **{وَلَمَن صَبَرَوَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ – الشورى، ٤٣}**.

قد يتساءل البعض عن الربط بين ما قلته، فى الجانب الاجتماعى، وبين الربط فى قلادة مصباح الصبر فى العلاقات الاجتماعية، إن هذه السيدة والتى قالت ندما عن أنها لم تر غير الجانب المظلم، وبالتالى لم تصبر على رؤية الجانب المضيء فى زوجها، ومسألة صبر الزوجات على ما ينلنه من أذى، ومحاولة أن يصلحن لهو أمر من عزم الأمور والأكثر من ذلك إن يكنَّ لديهن لغة الغفران والتسامح، وهذه إشكالية كبرى أن ترى المرأة نفسها مرغمة لتحمل الأذى والغفران فى مقابل الأذى، وعلى الرغم من هذا كله إلا أننى أنظر إلى الموضوع بأن الجوانب السلبية فى حياتنا كثيرة يمكن أن نراها سلبية، ويمكن أن نراها إيجابية، والدنيا ممزوجة حلاوتها بمرارة، والراحة منها مقرونة بعناء، ولا يكسر المرارة ولا العناء إلا الصبر.

إننا حين نركز النظر على الجانب المظلم من الحياة فلا نرى بعدا إيجابيا فى حياتنا، إنما نركز على الجانب السلبى، وللجانب السلبى فى حياتنا آثار سيئة كعدم الاستمتاع ولو للحظات، فهل منكم من احد يستطيع أن يعيش لحظة الخطوة ويستمتع ولو بخطوة يسيرة، ولا نعقد أنفسنا وكاهلنا بفكر مظلم فى حياتنا لا نأخذ منه غير السناج (أثر الدخان على الجدران). إن نعم الله فى حياتنا الاجتماعية بين الأزواج لا تتوقف على حد معين مادى أو روحى أو عاطفى، بل يتعداه إلى أكثر من ذلك وإن كلا منهما إن لم يستطيعا التوافق، فليعلما أن يعرفا أن كلا من الطرفين خاطئ، وأن دواء الصبر فى القبول يمسح عن العلاقات كثيرا من الغبار لماذا؟ لأنهما خلقا من نفس واحدة **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}. (١) – النساء .**

إن هناك علاقة بين ما يتأثر به الإنسان فى رؤيته للأشياء بنظرة سلبية، إلى تحويل هذا إلى مرض نفسى يتحول فيما بعد إلى أمراض عضوية وجسدية قد لا يجد منها خلاصا، وإن قليل الصبر يدفعنا إلى النظر بصورة إيجابية فى الحياة، وكل من ينظر بشكل ايجابى تراه حسن العشرة متحملا لمتاعب الحياة، عكس الذى ينظر إلى الجانب السلبى فيبدو سيء الخلق عنيف النزعة لا يَألف ولا يُؤلف.

من هنا كان للصبر دور كبير للتحمل على مجابهة الحياة بكل مرارتها حتى تسير مركب العمر في العلاقات الأسرية، إن عبق الذكريات واشتياق العطر المخبأ في نظرتنا الرافضة لأن نرى قليلا من النور ولو في العتمة قد يدفعنا إلى لحظات ندم، وإن المطرب لا يُعرف قيمته إلا عندما تنقطع أوتاره، بعد ان اعتادت الأذن على سماع اللحن

إن المخزون الجميل لا يمكن أن يكون جميلا دون أن نشكله ونصنعه في حياتنا، فكيف يكون ذلك؟ إن صناعة المخزون الجميل في رداء الصبر يحول شراسة الرجل إلى وداعة غير عادية، حينما تتجمل المرأة برداء الصبر وهذا ما يميز النساء بعضهن البعض، والصبر يرتبط بالتقوى، ولنقرأ قول الله تعالى: **{يَا نِسَاءَ النَّبِى لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا}**. (الأحزاب: ٣٢).

إذن المفتاح مع المرأة وليس مع الرجل، مفتاح الرؤية الايجابية والسلبية، فكم عليها من الأدوار الشاقة الكثير وهي التي تصنع أمة وهي التي على أساسها تبنى الرجال.

إن أجمل ما يمكن أن نفعله لكي نشعر بالجانب الإيجابي هو أن نعيد داخل أنفسنا الصورة التي نحبها في الآخرين، إن الحب من الجانب الايجابي هو كل ما يطيب للنفس من ذكريات ايجابية وان كانت في صعوبة الحياة بين أي طرفين.

إن مجرد التفكير في ضعفك، يهدم صورتك أمام الآخرين، وإن عليك أن تكون أكثر إيجابية عاطفيا وجسديا وروحيا، و تطرد الأفكار المحبطة وان ترى الأفكار الموجبة، إن الحياة التي نعيشها هي سلوك لنظرتنا نحن وليست لنظرة الآخرين فينا ونحن نصنع أنفسنا في حياتنا.

إن الأفكار السوداوية والسلبية هي آفة التفكير، والابتعاد عندها يتطلب مهارة الصبر على البلاء، إن مناطق الفشل كثيرة إذا ما حولنا النظرة الإيجابية إلى نظرة سوداوية، ولا نرى الأشياء متسعة، بل تضيق علينا حرجا.

إن التفكير الإيجابى هو التفاؤل بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانى ولا نقنت وعلينا بالصبر مصباح الأثر **{ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }. (٥٣) الزمر**

إن المتأمل داخل النفس يجد أن هناك الكثير الإيجابى، ويمكن أن ينظر لشريكه من خلال نقاطه البسيطة المضاءة مستخدما أداة الصبر أو شراب الصبر فى الكلمات المتبادلة حتى نرى أنه بمرور الوقت تزدان جوانب غرف حياتنا وتتحول إلى مفاتيح مضاءة تملأ حياتنا بالسعادة، إن النظرة السلبية هى نظرة خاطئة فى تضخيم العيوب أو أن نعيش حياة مشاحنة أو نكره الأشياء دون أن نفكر فيها قال تعالى : **{ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا}. (١٩) سورة النساء**، وسبحان الله فى هذه الآية والتى لخصت مفهوم التفكير الإيجابى .

إن التذمر على الحياة وأعبائها، والنظر إلى الأشياء التى نفقدها ولا نملكها بشكل سلبى يولد بداخلنا سوداوية وإحباطا، وجلدا للذات، مما يجعل نوافذ الحياة مظلمة، وإن الرضا هو مسحة الصبر الجميل فى وجوه الأحياء التى تتعايش فى موج الحياة لتصل إلى ربها شاكرة بأنعمه التى لا نرى منها إلا ضيقا من جانب النظرة السلبية.

المقال الثانى
الانحراف بين كفتى ميزان

شغلنى كثيرا ما اطلع عليه بشكل شبه مستمر، حول القبض على وزير أو مسئول، فسألت نفسى: أين الخلل؟ سؤال رغم بساطته إلا أنه من أعقد الأسئلة، وعلى الرغم من أن هذا المسئول أو ذاك الذى كان يجلجل صوته كأنه على منبر المثالية والكمال، والأغرب أننا نرى أن الفساد أو الانحراف الذى طال هذا المسئول، يتضح أنه منذ فترة تقلد فيها مناصب مختلفة، فتخيلت شيئا عجيبا بداخلى، وسألت: كيف كان الاختيار؟ إنها مسألة تحتاج إلى مراجعة كبيرة. إن أهم عوامل النجاح والاستقرار على المستوى العام هو نواة اختيار الأسرة، فإذا كان اختيار الرجل لشريكة اختيارا موفقا، صعد بأهله إلى قمم الجبال، يكدح لا يعبث، يجاهد، لا يفسد، تغير فى الذهن أشياء كثيرة، إن سقوط القدوة هو خلل عظيم، فهل ينتهى الأمر إلى هذا الحد، لا أعتقد طالما النفس الطامحة الطامعة المستغلة الأمارة بالسوء باقية. إنها معركة القيم الراسخة فى قلوب البشر وأذهانها.

جلست شاردا مع نفسى وتخيلت قصة فى عقلى أنه كان هناك رجلا، يتميز بالمكر والدهاء، وأراد أن يصل إلى أعلى مناصب الحياة، فبدا بلين القول، وغزو العقول، وبماله الوفير من كسب لا يعلم أحد عنه شيئا، له ما أراد وتحقق حلمه، وصل إلى القمة، والقمة اتسعت كثيرا، فبدا ينتقى معاونيه ومساعديه، والتف حوله من التف وغضب منه ما غضب، لكنه فى النهاية، سيطر على ما يسمى كرسى الملف الأسود، فجلس على الكرسى، ولاحظ أن هناك أمرا ما فى مقعد الكرسى، فتحسس بيديه، وجد غلافا مكتوب عليه إن أردت أن تعلو وتسيطر عليك إنشاء ملفات سوداء لمن حولك تستخدمها عند الطلب، وإن لم يكن لهم ملف أسود فاصنع بنفسك، فقلت لنفسى: هل هذا الأمر قابل

للحدوث، أقول بنظرية الفرضية وقبول الأشياء فى التحليل: إن أى فكرة تخضع للقبول والرفض، فإذا كان الرفض فى هذه الحالة هو السائد لتلك النظرة مقابل السمو الأخلاقى، فإنه يمكن القول على أن الاحتمال ولو موجود فقد يحدث وإن تباعدت أحداثه، فكل حدث يرتبط زمنا يمكن أن تتحرك بداخله موجات الفساد، وتتوقف على قابلية المناخ. إن بناء الملفات السوداء للسيطرة على إدارة الأمور لهو من خبث النفس الأمارة بالسوء التى لا تعرف للقيم قيمة ولا لثبات العقيدة مكان، إنها النفس الخالية من قواعد الخشية، إنها النفس المفسدة والفاسدة، تفسد لتسود، وتعربد فى ظل صنعها قانون الذات السوداء.

وانتقلت مع نفسى لما أرى فتذكرت قول الله تعالى **{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}. الروم** ٤١ - إن الفساد صناعة أيدينا، فنحن من رتبنا إلى ملفاتنا الفاسدة السوداء، فكل إنسان له ملف اسود، يحاول أن يخفيه، فهناك من يبديه عند اللزوم حتى يتم السيطرة على البشر، إنها ملفات التهديد، وأن من لا يدخل فى العباءة الفاسدة، يخرج من دائرتهم ولا يصلح وأصبح الشريف منبوذا، ويهمل فى مزبلة التاريخ، كم من الشرفاء حيك بهم على مصالح الفاسدين ولننظر الآية: **{هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ }. (٧) آل عمران.**

ولننتقل إلى مفهوم الانحراف بعد ما تخيلت قصة الملفات السوداء، إن الانحراف يعنى الخروج عن مسار مار كخط مستقيم، وإن الخروج عن المسار إما يعود للشخص ذاته أو الطريق الذى يسير عليه أو للتوقيت الغير مناسب الذى نتحرك فيه وكلها تدخل فى الانحراف والانحراف يأتى من سائق مثلا أو خروج مركبة عن مسارها أو خروج الإنسان عن ضوابط العقيدة، وإذن الانحراف يعنى الميل، والفسق أيضا هو ما يعبر عنه بالزيغ وهو الميل عن المقصد **{فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ}**. ، ويكون الاعوجاج بعد الاستقامة، إن لكل مخلوق وكائن حى له قواعد فى تنظيم

حياتـه إمـا بالاسـتقامة أو الانحـراف، فمـن يدعونـا للانحـراف لننظـر إلى القضيـة الأساسـية {أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ}، إن الإنسان إذا شعر في نفسه انه الأفضل بدا في منطقة التفضيل، وقد تحدث عن قضية التفضيل في قصة ابليس حين قال {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ}. (١٢) – هنـا حـين يشـعر المـرء انـه الأفضـل تخـرج عنـه كل البركات والهدايـات، لـماذا لأن الشـيطان يقـف وراء تصرفـات الإنسـان لأنـه لايريـده أن يتحـرك علـى الصـراط المسـتقيم، ليحـدث لـه الانحـراف.

وإن مـن يطالـع مفهـوم الانحـراف يـرى أن هنـاك انحرافـا فكريـا خرجـت منـه بروتوكـولات حكمـاء صهيـون والثـورة الشـيوعية والعلمانيـة والحداثة، وهنـاك انحراف سياسـي فـي ادعـاء الحريـة والمسـاواة والإخـاء أو الانحـراف الماسـونى، ثـم هنـاك الانحـراف الاقتصـادى، فـي النظـم الشـيوعية والرأسماليـة .

وأيـا كانـت النظـم وانحرافاتهـا، فالقاسـم المشـترك إذن الإنسـان هـو اللاعـب الأساسـي ومحـور الدنيـا، وهـو مـا يحمـل الأمانـة، وهنـا القضيـة:

لا تسلني عما أفسد الدهر عندى
بل سل من ترك غاربا لم يعلمني
من سقانى من كأس الهوى فمي
ومن علمنى رقص طرب لجهلي
لا تعاتبنى فسادا صنعت أنت مني
قل إن هذا الفساد من صنع يدي

إن الانحـراف يبـدأ مـن الأسـرة، وغيـاب القـدوة، وسـوء الاختيـار يـؤدى إلى الإضـرار فـي مسـتقبل أى أمـه، إن سـقوط القـدوة مـن ملفاتهـم السـوداء المحبوكـة فـي مطابـخ وسـيناريوهات الانحـراف السياسـي هـو انحـراف فكـرى وسـلوك شـاذ تتحملـه الأجيال.ولقـد كان للإعـلام دورا فـي أن تشـيع الفاحشـة بغسـيل العقـول {إِنَّ

الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}. (١٩)- النور.

إن تفصيل باترون الفساد بيد من هم بيدهم الطرق للعرض من محلات الأزياء الفاسدة ليقدموا لنا العرى والرشوة بمسميات تغير فى عقول البشر، وخاصة حينما ألغى العنصر الدينى فى قلوب الكثير وصل إلى التهميش، بل يصبح جريمة فى عصر، هجرت فيه المساجد، وكيف نأتمن قدوة لا يعرف للمسجد بابا، بل تعرى فى داخل نزواته، إنها أزمة أخلاقية بدت منذ اختيار الشريك.

المقال الثالث
لغة الآخر

حين نتحدث، نتحدث من خلال ما نراه نحن، وليس من خلال ما يراه الآخرون، ومن المؤسف أو المحزن، فإن كثيرا من البعض لا يفهم تصرفا أو فعلا أو ردة فعل أمامه، وإن عدم الفهم هو أسوأ ما يكون، وللقضاء على عدم الفهم فإن الصبر هو خير علاج، والصبر فى الاستماع هو فى لغة الإنصات، وليس فى لغة التهكم أو التهجم أو السخرية أو الاستخفاف فردة الفعل تخضع لقانون التوازن فى القوى، وربما تكون ردة الفعل لا تكون عن أحداث قريبة ربما تكون نتيجة تراكمات داخل النفس البشرية.

وانعكاس الرؤى قد تختلف عن تمام التطابق، وإن أى انحراف بين الرؤى والتطابق يؤدى إلى انحراف وهناك انحراف طبيعى يتوقف على عوامل شخصية وبيئية وعوامل تتعلق بالتنشئة، وكل هذه الأمور تقلل أو تزيد من بون الخلاف فى لغة الآخر، إذن هل لنا نسأل كيف يحدث الخلاف، الخلاف بين طرفين هو التعبير عن وجهة نظر بوجهين مختلفين أو مختلفين بعض الشيء، من هنا نفهم أن الخلاف بين شطرى حوار حين يبدأ، يبدأ فى خانة النزاع، والنزاع إلى الندية، والندية إلى الخصومة، والخصومة إلى اقتتال، وفى النهاية من يكسب من يخسر ليس هو المهم، ولكن المهم كيف نقى أنفسنا أو غيرنا ألا يصل إلى قمة النزاع والندية، إنه من الملاحظ فى كثير من المعاملات أنه يوجد التحفز فى انتظار السقطة أى انتظر سقطة تقع فيها حتى ابدأ بمسلسل النزاع، أو الاستدراج إلى جرجرة الاستفزاز، والاستفزاز من الغير هو سلوك غير سوى من الطرف الذى يحاول إثارة مقابله، ليغضبه، والسلوك الاستفزازى سلوك مرضى قد يكون هناك بعض اضطرابات الشخصية والتى تتسم بالعصبية وسرعة الاستثارة كالشخصية القلقة والنرجسية والهيستريونية ومما لا شك أن الناس

يختلفون فى أساليبهم وسلوكهم فى التعامل فهناك من لديه القدرات اللائقة للتواصل مع الآخرين وخلق طرق جيدة فى الوصول إلى الأهداف التى تحقق الصفو فى الحديث أو المواصلة، إن الحوار يحتاج إلى عازفى موسيقى مهرة، وليس الحوار مجرد ثرثرة واستفزاز، والاستفزاز هو تفريغ وإسقاط نفسى، يرى القائم بالاستفزاز صورة من أمامه بشكل ربما يشعره بسعادة داخلية، فهى غضب من ذات المستفز لإرضاء نفسه فيستفز غيرة، وهو ما يعرف بدعوى المرض المنتقل أو المرض الانتقالى. والاستفزاز يعتبر بمثابة الصدمات الكهربائية غير المتوقعة، ولنعلم أن الاستفزاز لا يبنى على موقف بل على عديد منه.

ودعنا نفكر لحظة واحدة، فيما يدور حولنا من لحظات غضب، لحظات كرة، لحظات نشعر فيها بالبسمة، وأخرى نشعر فيها بالصدمة، لحظات يسقط فيها الدمع، لحظات يرتفع فيها الضحك، إنها هوسويات الحياة، أنها تناقض اللحظات فى زمن الآهات. إن المواقف التى تمر على الإنسان ولا يقدر قيمتها أو لا يضعها فى التقييم كمن تنزل على رأسه تفاحة نيوتن، ولا يشعر بسقوطها، إن معايير الملاحظة فى باب التكرار يؤدى بالعين إلى أن الملاحظة التكرارية فى أمر ما وبشكل تزامنى دقيق يعنى أن التكرار يصبح سمة والسمة تصبح متلازمة حتى نصل إلى الصفة على الشخصية نفسها.

والإنسان تعامله من مخزن ذكرياته، إن صح القول، ومخزن الذكريات هو صندوق الخبرة المتراكمة الذى يختزن بداخله شتى المعلومات حلوها أو مرها، وإن العيش بالمشاعر الوجدانية أمر يحتاج إلى مهارة، وما أروع أن نعيش بمشاعرنا، والأروع من ذلك أن تكون مشاعر الآخرين مقدرة داخل مشاعرنا وإلا أصبحت الصورة مهتزة ذات معيار غير متوازن، فإن ما يصعب على أى نفس أن ترى المعايير غير العادلة وإن أصعب معايير النفس هى معايير المشاعر.

إن المشاعر فى الإنسان هى أرق من أصغر جزء من الفيمتو ثانية، وهذا الوصف للدلالة على رقة المشاعر، فالمشاعر ضوئية وهى موجات قد لا ترى بالعين المجردة، إنما هى ذبذبات تحلق فى ألسن الناس حين تنطق، أو موجه بصرية فى البصر حين ينظر لغيرة معبرا عن معنى النظرة سواء كانت حبا أو سخرية أو غيرها، وتتجمع كل هذه الذبذبات فى صورة ميكانيكية

لمستقبلات الكلمة وهى الأذن أو مستقبلات الرؤية وهى العين، وتتحول إلى مكتب الترجمة داخل عقولنا، ومن يستطيع منا أن يترجم كل الكلمات المستقبلة إلينا؟ إن مخزن الذكريات ورغم ما يحتويه منذ آدم عليه السلام **{وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}. (٣١)** فالأسماء مسجلة فى ذاكرتنا ولكن من يستخدم ذلك؟! إن استخدام الذاكرة والتى شبعت بكل العلوم فى آدم وذريته لأمر يحتاج إلى المراجعة، فإن سوء استخدام الكلمات هو من افتقار استخدام الصندوق التراكمى فى عقل البشر والتى تعلمها وأخذها من سلالة آدم، إننا فى حاجة إلى إضافة الجديد لصندوق العقل حتى تضاء نقاط الظلمة فى التفكير، فنستطيع النطق بما لا يجرح الآخرين، وسبق وأن كتبت عن ذلك فى مقالاتى السابقة.

إننا فى حواراتنا لا يوجد لدينا منهج محدد معتدل ولا مفهوم فى فلسفة الاعتذار وهذا يعزى إلى كبر الشيطان القابع داخلنا، الذى قال فى يوم المفاضلة **{قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ}. (١٢)- الأعراف.**

إن الشيطان بداخلنا يحركنا ويصدنا عن سبيل الله، ليجعل فيما بيننا العداوة والبغضاء، **{وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا}. الإسراء٥٣.**

إن هناك فى النفس نوافذ السكينة تدلف داخلنا فتجعلنا ننطق ونتعامل مع الآخرين، إنها نوافذ القرآن.

إن نوافذ السكينة هى الهواء الرطب الذى يطفئ صدور الآخرين حين يستمعون إلينا حين نخاطبهم، حين نعلمهم كيف يكون الذوق الرفيع، ونحن فى وسط هذا الزخم اليومى من الجمود الذى طرأ على مشاعرنا وعواطفنا وتقلص السعادة، فإننا نحتاج إلى ملطف لجوارحنا، إنه ملاطفنا الذى نلطف به أرجاء النفس، إنه القرآن، ولا نتعجب من اضطرابات نراها بين الكثير، والسبب هو هجر القرآن **{وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا}. الفرقان** ٣٠، ولا أتصور أى شخص مواظب على تلاوة القرآن، لا يشعر بالطمأنينة فى قلبه، بل بالعكس فالقرآن يعلمنا أدب الكلمة ورقة الحرف، واستطعام المعنى،

إن القرآن الكريم أعظم ما تطمئن به القلوب وترتاح، إن به آيات السكينة، وإن قراءته لها التأثير على سكون وطمأنينة القلب.

إن الحفاظ فى لغتنا على أحاسيس الآخر، واستخدام أسلوب الاعتذار هو أسلوب الفن الراقى ولن يتأتى أى أسلوب راق فعال بدون أن ندرس مفهوم الطمأنينة فى القلوب، وإن كلمة الاعتذار عن تصرف لن تعيب شخصا من قدرة بل تزيده، فالجمال فى الإنسان هو القدرة على تكيفه فى تعامله مع الآخرين، وليس الجمال شكلا ولا مساحيق ولا عطرا، فالجمال هو حسن استخدام الكلام، إن تصرفاتنا السيئة تحرمنا من إسعاد الآخرين، وإذا أراد الإنسان أن يقيس أى تصرف له يزن بمقياس الميزان العكسى، والميزان العكسى هو أن أقيس ما أقوم به على ما يقوم به غيرى، أى قياس ما فعلته على ما يقابلنى، أى أضع نفسى فى نفس مجال الآخر، وتلعب السكينة دورها فى بتر الأمراض النفسية فى حوارات التخاطب.

فإن التلاعب اللفظى أو الشكلى للتأثير على الآخرين لهو أمر خطير، وكلها من وساوس الشيطان، وان حسن الاستماع والإصغاء للآخرين وتقدير ما يقولون أمر مهم، والإنسان الناجح هو الذى يستمع ويصغى جيدا، لا يترك الآخر فى كم المهملات، والناجح من يعطى للناس الفرصة فى التعبير عن آرائهم والصبر كذلك على نقدهم، إننا لا نعيش فرادى أو عزلا عن بعضنا البعض، ففى الحديث «المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على آذاهم خير من الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم».

ولنعد ثانية على معالجة أسلوبنا فى التعامل مع الآخر، إن التعامل مع الآخر يحتاج إلى ملطف نأخذ منه حديثنا، وهذا الملطف هو قرآننا الكريم، فما أشد ما نحن أحوج اليه، فى تعاملنا ومعاملاتنا **{ هُوَ الَّذِى أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً }.{الفتح :٤}.**

إنها السكينة التى فى القلوب، إنها الوقار والهدوء تضيف للقلوب ثلجا وبردا، اللهم اجعلنا ممن تتنزل عليه السكينة، و تغشاه الرحمة، و تحفه الملائكة، و اجعلنا ممن تذكره عندك فى الملأ الأعلى.... آمين..آمين.

المقال الرابع
جياع فى وفرة زاد

حين تحركت قدمى داخل رأسى، لاحظت أن الأقدام متباطئة، متثاقلة، وأرسلت إشارتها لى: ما كل هذا الجمع، ما كل هذه الألوان والتى سادها السواد؟ هل هى مائدة طعام أم مائدة حداد؟ ما هذا الوشم المرسوم على كل ذراع؟ ما هذه الضوضاء؟ ما هذا الكم الهائل المحصور والمقيد على المقاعد ليكبل بالموائد المتخمة والممتدة على ممر طويل لا تتحرك عليه الأقدام؟ ما نهاية الجياع حين نضع أمامهم الطعام؟ رأيت لوحة على مقدمة الممر، وفرة زاد تقرب من ميعاد، أى ميعاد عنه يتحدثون؟ وأى قاعدة توضع عليها الطعام فى مائدة؟ ما نهاية الأفواه المفتوحة، والأيادى المبعثرة؟ ومن هذا الذى يتعطر ويتزين؟ ومن يحرك بداخلنا شهوة الزينة وحب الدنيا، ونظل نشتهى، والشهوة مزينة لا تنتهى، وكأنها أفواه مفتحة لا تقبل غير الامتلاء؟ إنها زينة، غمت العيون، ألقت بظلالها على الرموش فتظل العين مفتحة وتقول هل من مزيد، إن الزينة إذا ما اخترقت نور العيون تفتحت على ما هو أعمق، ما معنى الزينة، وهل الزينة تصدنا عن أصل الأشياء؟ الزينة مُضَلَّلَةٌ أم مُضَلِلَةٌ، تبعثرت الأشياء فواجهت النفس بمفهوم الزينة.

زين هو فعل رباعى متعد بحرف، زَيَّنْتُ، أُزَيِّنُ، زَيِّنْ، مصدر تَزْيِينٌ. و زَيَّنَ الغُرْفَةَ :- : جَمَّلَها، حَسَّنَها. :- زَيَّنَتِ الْمَرْأَةُ وَجْهَها. أى جمَّلته وحسَّنته، زَيَّنُوا شَوارِعَ الْمَدينَةِ بِالرَّاياتِ وَالصُّوَرِ والْمَصابيحَ الْمُلَوَّنَةِ :- : زَوَّقوها، زَخْرَفُوها. زَيَّنَ لَهُ الأَمْرَ :- : جَعَلَهُ يَعْتَقِدُ بِأَنَّ الأَمْرَ على أَحْسَنِ وَجْهٍ. الأنعام آية ٤٣ {وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ ما كانُوا يَعْمَلونَ}..

ليس الجمال ثيابا فوق كتف سِتْرا إن الجمال جمال العقل واللب
وليس مذاق الفم نلقاه عسلا لا كل ما بالفم مذاق عسلٍ رطبِ

والنفس إذا ما اشتهت فرحا لليم تُغْرِقُ خلقا طاح عِلْمَا بأدبِ
إن الحياة زينة فى العين طمعا وطمع الشهوات ليس لها من حدِ
إذا اشتهت نفس ما فرقت طعما ما بين عسل مذاقه أو ملحٍ عَذِبِ
قرين السوء بداخلنا يزيد همسا والعقل إن غُيِّبَ طريق غوايةٍ بِنَدِم

إن الزينة جاءت فى القرآن الكريم فى مواقع كثيرة، وكما ذكرت معنى الزينة ومترادفاتها، فنجد فى سورة آل عمران آية ١٤ «**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**، وإذا نظرنا للآية فهى واقعنا الذى نعيشه الآن فى الشهوات الجائعة العطشى، من حب النساء، وحب المال، وزينه الدنيا التى تنسينا ذكر الله، {**سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَو أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**}. ١١- سورة الفتح .

ولنقرأ أيضا {**زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**» البقرة ٢١٢ ، إننا حين نقرأ كَذَٰلِكَ» **زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**}. ١٠٨ الأنعام، إن الزينة فتنة فى العيون يزينها لنا القرناء فتعمى الأبصار والقلوب، فتنسى ذكر الله.

هل نحن مساقون كما يساق البعير من أعناقهم؟ هل ضللنا طريق الهداية واتبعنا طريق الغواية؟ هل ثقل على ألسنتنا ذكر الله فى بداية أعمالنا؟ هل يدفعنا قرناء السوء إلى طريق الإشارات الممنوعة والمخالفات المزورة فى حقيقة صورها وشكلها؟ {**وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ**}.الأنفال٤٨.

نحن نرى الكثير حولنا من المخالفات التى تطمس العقول والقلوب، وتعصب العين مغماة فى طريق غير معبد بالفضيلة مزركشة بالمعاصى هل قرأنا {**فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ**}.التوبه ٣٧.

إن كثيرا منا يقرأ سورة الكهف، فهل أدركنا ما بها من علامات مضيئة؟ هل رأينا ومضات التحذير؟ فلنقرأ {**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ**

أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا الكهف ٧ ، ثم لنقرأ أيضا { وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}.٢٨ الكهف ، ثم لنرى كذلك الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا}. الكهف ٤٦.

ثم نأتى إلى قضية خطيرة فى النساء، وهى قضية استدرج فيها كثير من النساء إلا من رحم بدعوى فوضى الحرية والتساوى، وان هذه الدعوى أنقصت من قدرهن، رغم أن مكانة المرأة مصونة على رؤوس الرجال الكرام الذين يحافظون عليهن كرامة ورفعة، لا على الرجال الذئاب الذين يبحثون عن الأغنام الضالة الشاردة من النساء بدعوى الحرية لتعم الفوضى فى النساء، وإنها لأمر يحتاج منا مراجعة كل أمور النساء ولتنظر النساء إلى الآية ٣١ من سورة النور

{وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}. (٣١).

ونسأل أنفسنا: لماذا على المرأة أن تحفظ نفسها ولا تبدى زينتها إلا لمن يستحق (بعولتهن) إننا إذا نظرنا للآية ٣٢ من سورة الأحزاب (فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا)، إن الرجال الضالة، تبحث عن ضالتهم، فمن يعطى لهم الفرصة ؟ إن الغنم الشارد تأكله الذئاب، إنها دعوى الحرية الشاردة.

إن طريق الهداية مفتوح، وإذا أردنا أن نتعلم فلنقرأ القرآن ونتدبر آياته، إنه لا شيء أكثر ضلالا، ولا أعظم خسرانا، ولا أشد ألما وعذابا، ولا أكبر مصيبة وغبنا، من ظن المبطل أنه محق، وظن المخطئ أنه مصيب، وظن الضال أنه مهتد؛ يحفر فى الماء وهو يظن أنه يحفر فى التراب، وينقش على الرمل وهو يظن أنه ينقش على الصخر، فيتعب بلا فائدة، ويسعى بلا أجر، ويعمل بلا مقابل، بل ربما ارتد عليه باطله وخطؤه فأخذ به، وحوسب عليه،

وعذب بسببه، وحينها لا ينفعه حسن القصد فى الباطل، ولا صدق النية فى الخطأ؛ فإن الباطل والخطأ لا يتحولان بحسن القصد إلى حق وصواب. قال الله تعالى فيمن حسن قصده وساء عمله **{الذين ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا}. (الكهف: ١٠٤)** - باب الهداية مفتوح فى قولة تعالى، اهدنا الصراط المستقيم، نقرأها فى ركعة نصليها فهل استحضرنا معناها؟ إن أخطر شيء على العبد أن ينقلب قلبه، وينتكس فهمه فيرى سوء العمل حسنا، ويرى الباطل حقا، والضلال هدى، والخطأ صوابا. إن هذا هو أحط دركات الجهالة، وهو أشد أنواع الخذلان، وهو أفدح الخسران.إن العبد إذا كان ميّالا لهواه، ولم يصدق مع الله تعالى، ولم يقصد الحق والصواب؛ يخذله الله تعالى، فيزين له شيطانه ونفسه الخبيثة سوء عمله فيظنه حسنا **{أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا}.)فاطر: ٨)**.

إن البدعة أشد من المعصية، لأنها مزينة لصاحبها فأغلب العصاة يعصى ويعلم أنه عاص، وليس كذلك المبتدع، قَالَ سُفْيَانُ الثورى رحمه الله تعالى: الْبِدْعَةُ أَحَبُّ إلى إِبْلِيسَ مِنَ الْمَعصِيَّةِ لأَنَّ الْمَعْصِيَّةَ يُتَابُ مِنْهَا وَالْبِدْعَةَ لَا يُتَابُ مِنْهَا.

إن مفتاح الشر كله أن يزين الشيطان للإنسان سوء عمله فيراه حسنا، أن يُعجب بنفسه وبكل ما يصدر عنها. ألا يفتش فى عمله ليرى مواضع الخطأ والنقص فيه؛ لأنه واثق من أنه لا يخطئ! متأكد أنه دائما على صواب! معجب بكل ما يصدر منه! مفتون بكل ما يتعلق بذاته. لا يخطر على باله أن يراجع نفسه فى شيء، ولا أن يحاسبها على أمر. فلا يطيق أن يراجعه أحد فى عمل يعمله، أو فى رأى يراه! هذا هو البلاء الذى يصبه الشيطان على إنسان، وهذا هو المقود الذى يقوده منه إلى الضلال. فإلى البوار! إن الذى يكتب الله له الهدى والخير يضع فى قلبه الحساسية والحذر والتلفت والحساب. فلا يأمن مكر الله تعالى، ولا يأمن تقلب القلب، ولا يأمن الخطأ والزلل، ولا يأمن النقص والعجز. فهو دائم التفتيش فى عمله. دائم الحساب لنفسه. دائم الحذر من الشيطان. دائم التطلع لعون الله تعالى ومدده.وهذا هو مفرق الطريق بين الهدى والضلال، وبين الفلاح والبوار.

اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَسْأَلَةِ، وَخَيْرَ الدُّعَاءِ، وَخَيْرَ النَّجَاحِ، وَخَيْرَ الْعَمَلِ، وَخَيْرَ الثَّوَابِ، وَخَيْرَ الْحَيَاةِ، وَخَيْرَ الْمَمَاتِ، وَثَبِّتْنِى، وَثَقِّل مَوَازِينِى، وَحَقِّقْ إِيمَانِى، وَارْفَعْ دَرَجَاتِى، وَتَقَبَّلْ صَلاَتِى، وَاغْفِرْ خَطِيئَتِى، وَأَسْأَلُكَ الدَّرَجَاتِ العُلاَ مِنَ الْجَنَّةِ، اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ فَوَاتِحَ الْخَيْرِ، وَخَوَاتِمَهُ، وَجَوَامِعَهُ، وَأَوَّلَهُ، وَظَاهِرَهُ، وَبَاطِنَهُ، وَالدَّرَجَاتِ الْعُلَا مِنَ الْجَنَّةِ آمِينْ، اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا آتِى، وَخَيْرَ مَا أَفْعَلُ، وَخَيْرَ مَا أَعْمَلُ، وَخَيْرَ مَا بَطَنَ، وَخَيْرَ مَا ظَهَرَ، وَالدَّرَجَاتِ العُلَا مِنَ الْجَنَّةِ آمِينْ، اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ أَنْ تَرْفَعَ ذِكْرِى، وَتَضَعَ وِزْرِى، وَتُصْلِحَ أَمْرِى، وَتُطَهِّرَ قَلْبِى، وَتُحَصِّنَ فَرْجِى، وَتُنَوِّرَ قَلْبِى، وَتَغْفِرَ لِى ذَنْبِى، وَأَسْأَلُكَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَا مِنَ الْجَنَّةِ آمِينْ، اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ أَنْ تُبَارِكَ فِى نَفْسِى، وَفِى سَمْعِى، وَفِى بَصَرِى، وَفِى رُوحِى، وَفِى خَلْقِى، وَفِى خُلُقِى، وَفِى أَهْلِى، وَفِى مَحْيَاى، وَفِى مَمَاتِى، وَفِى عَمَلِى، فَتَقَبَّلْ حَسَنَاتِى، وَأَسْأَلُكَ الدَّرَجَاتِ العُلَا مِنَ الْجَنَّةِ، آمِينْ.

المقال الخامس
ماذا بأيدينا ؟

الرزق قضية تزعج الكثيرين:

بسم الله الرحمن الرحيم، قرأت اليوم فى سورة النحل آية رقم ٧١ **{وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى الرِّزْقِ ۚ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ}**.

كثير من البشر ينظر بعضهم إلى بعض، وهذا يقول لم هذا غنى ولم هذا فقير؟ وتظل دائرة النظر ليد الغير تشغل بال الكثيرين منا، وكأننا ماخلقنا إلا لنتابع عوراتنا عورات البعض، وفى مقالى السابق قد تحدثت عن مسالة توزيع الأرزاق وذكرت آية رقم ٤٣ الزخرف **{ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}**..

إذن قضية المفاضلة فى الرزق فى الآية ماذا تعنى والمقصود بها أولا ثم ندرس ما وراء الدرس من حكمة بالغة لا يعلمها إلا الله، والحكمة هى فى قسمة الأرزاق بين العباد وجعل منها الفقير والغنى ومتوسط الحال ليتعايش البشر فيما بينهم **{وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا}**، وقد يحجب الرزق أو بسطه عن شخص ربما ليبعد عن المعاصى أو ينزلق فيها، ولك أن تتخيل إذا بسط الله الرزق للجميع بقدر موسع وواحد، ماذا تكون النتيجة ستكون حتما كما قال تعالى: **{ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِى الْأَرْضِ وَلكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ ما يَشاءُ إِنَّهُ بِعِبادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ}**.(الشورى: ٢٧).

إن الآية ٧١ من سورة النحل **{وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى الرِّزْقِ ۚ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ**

يَجْحَدُونَ}.إذا نظرنا إلى ما قبلها الآية ٧٠ {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ}.

فالآية ٧٠ نرى فيها استدلالا على التصرف القاهر لله تعالى، وذلك أنه أعقب هذا الاستدلال فى مسألة الأحياء والإماتة وما بين الحياة والموت من هرم، يوجد فى الآية ٧١ الاستدلال بالرزق على التصرف القاهر.

فما هو التصرف القاهر فى الرزق؟ {وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ}، أولا الرزق موجود وحاصل لجميع البشر والخلائق ومسألة تفضيل البعض لا يقبله الكثير على رغباتهم ولا على استحقاقهم، فقد نجد شخصا ذا عقل كبير وحكمة عالية تبهرك جدا ولكن الرزق مقتر عليه، وترى من الجهلاء الذى لا يملك فهم كتابة خط واحد ولكن هناك له توسعة فى رزقه، وكل من الشخصين (العاقل والجاهل) قد حصلا على رزقيهما بالتصرف القاهر، ولا يعلمان أسباب التقتير أو التوسعة فى الرزق:

هَا قَدْ جَرِيْنَّا فِى الدنيا وقد أَعْيَتْنَا سُبُلَ الْحِيَّل
ما نَعْلَمُ حِكْمَةً مِنْ كَسْب مَالٍ فيه وَفرة وبُخْل
سُبْحَانَ مَنْ أعطى العَبدَ رِزْقًا دُون سُؤَالٍ كَلل
هذا فقير وهذا غنى منا فهل تدرى العلل؟
إِنَّ الأرزاق اِنْ بُسِطَت للعِبادِ لَبِسْت الحُلل
فلا ندرى أخيرا ما نحن به أم قدما منه الزلل
سبحان من يحجب عبدا رزقه وغيره فى ذُلُل
لا تفرحن بما أُوتِيتَ فَنَقْصُ مالٍ قد يمنع الخَلل

إن أسباب الرزق كثيرة والأرزاق كثيرة وأسبابها متباينة، لقد اسند التفضيل فى الرزق إلى الله تعالى لأسباب خارج نطاق البشر، وقد يحضرنى حين قرأت فى بريد يوم الجمعة الماضى ١٨-٩-٢٠١٥ قصه سيدة تزوجت رجلا ثريا، وكان صاحب كلمة على كل العائلة، وكان له أخ لم يكن بنفس القدر من الشخصية،

وأرادت السيدة ان تستحوذ على كل المال لكى يؤول لولدها، هكذا بدأت تخطط لأن تستحوذ على كل الثروة لولدها، فقامت بإقناع زوجها أن تزوج أخاه من امرأة مطلقة وعاقر حتى لا تنجب، وبالتالى لا يكون له أى استحقاق فى هذه الثروة، وجلست توزع الأرزاق بحسابها هى، ولكن دعنا نرى الجانب الآخر الذى لا يمكن إحاطة عقول البشر به، أولا فعلا تم الزواج لأخيه، وهذه المرأة التى نسجت لوحة الأرزاق كما فى خيالها كان لديها ابن، والأخرى عاقر ومطلقة، وسبحان من بيده الملك والأقدار، أن توفى ابنها وهو فى عمر الشباب، وأن تلد العاقر توأما من ولدين ثم ولدا ثم بنتا، ويموت كل من الأخوين، ثم تموت الزوجة العاقر والتى وهبها الله الخلفة، وتصبح هذه السيدة التى رتبت وخططت أن تكون هى الراعية لأبناء أخ زوجها بعد أن خططت لحرمانهم، إن القصة وان كان المكر فيها والتخطيط والدهاء ألا أن البشر لا يدركون حكمة تفضيل وتوزيع الرزق كما ذكرت فى الآية.

{ إن الله لطيف بعباده، يرزق من يشاء وهو القوى العزيز}، (الشورى: ١٩)، ودلالة اللطف أن الله ذكرهم بعباده، وهى لمسة ووصفة حانية، فهذا من وسع عليه الرزق وهذا من قتر عليه، ورزق العباد بمشيئة الله وليس من تخطيط البشر، أو سعيهم، أو هواهم. إنما من عند الله بقدرته، فسبحان من أعطى وسبحان من منع، إن الله تكفل بالرزق فلا تشغل أمر نفسك، بل عليك أن تسعى، واعلم أنه إذا نظرنا للآية **{وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}**. (٢٨١) البقرة وهى آخر أية نزلت على الرسول، لنرى أن كل نفس سوف تأخذ نصيبها فى الدنيا كاملا، بمقياس الله **{وهم لا يظلمون}**.وليس من تدابير البشر ومحاكاتهم بالمؤامرات على غيرهم أو الاستيلاء على ما ليس لهم به من حق أو يحق لهم، إن التعدى على الأرزاق هو من باب السرقات نأثم بما نجنيه ونحاسب عليه، ولو صبرنا لجاءت الأرزاق لنا تلهث ولكن دوما **{ خُلِقَ الإنسان مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُرِيكُمْ آيَاتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ}**. (٣٧) الأنبياء، إنها العجلة والتعجل والاستعجال فى الرزق، فلا تعجل بل أعقل وتوكل على الله فبيده ملكوت السموات والأرض.

المقال السادس
حين يكون الطمع عنوانا

حين تلتقى عيون الطمع فينا، توقفت كثيرا أمام مسألة الطمع، فما معنى طَمِعَ فيه وطَمِعَ به، فوجدت الطمع اشتهاء ورغبة وفيه إغراء، والطَّمَّاع يستوى فيه المذكر والمؤنث، فالطَّمَعُ هو الرَّغْبَةُ الشَّدِيدَةُ للحُصُولِ عَلَى الشَّيْءِ، لِلاِسْتِحْوَاذِ عَلَيْهِ، اِشْتِهَاؤُهُ، الطَّمَعُ ضِدُّ اليَأْسِ، والْيَأْسُ هو الْقُنُوطُ والاِسْتِسْلامُ، وسألت نفسى: هل الطمع يمكن أن يسببه السمع؟ فحضر فى الذهن عندى قول الله تعالى، **{فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا}**. (٣٢) الأحزاب، فالطمع ليس بالعين أو من العين بل من السمع، ويقال إنَّ قَوْلَ الخاضِعةِ من المرأة لَمَطْمَعةٌ فى الفَساد أى مما يُطْمِعُ ذا الرِّيبةِ فيها، وحضر فى ذهنى أيضا قضية قابيل وهابيل وكيف أن الحسد والطمع إذا تمكَّنا من قلب الإنسان أورداه المهالك وكانت عاقبته سوءًا. ولنرى كيف قتل قابيل هابيل، انه الطمع حين يزين الشيطان لك ما ليس فى يدك، ويجعلك تظن أن ما فى يد الآخرين أجمل وأحسن، وهكذا ملأ الشيطان قلب قابيل بالحسد، كما امتلأ قلبه هو بالحسد على آدم من قبل، وجعله طامعًا فيما هو حق لأخيه هابيل، فماذا كان رده على طلب أخيه؟» للأسف رفض رفضًا قاطعًا، ورد على هابيل ردًّا قاسيًا قائلاً له بغلظة: «هى أختى، ولدت معى، وهى أحسن من أختك، وأنا أحق أن أتزوج بها»، وهنا كيف كان الطمع وراء الجريمة الأولى فى تاريخ البشرية، انه الطمع فى العيون و الطمع فى السمع .

وفى صفة النساء ابنةُ عشر مَطْمَعةٌ للناظِرين وامرأَة مِطْماعٌ تُطْمِعُ ولا تُمَكِّنُ من نفْسها، فالكل طامع فى يد غيره، ولرزق غيره، والطمع يولد الحسد اذا ما عجز المرء فى الحصول عليه، فألطَّمَّاعُ هو الرَّاغِبُ فِى الْحُصُولِ عَلَى شَيْءٍ بِرَغْبَةٍ شَدِيدَةٍ وَبِنَهَمٍ، ومن هنا نصل إلى أن أدوات الطمع هما العين

والأذن، وهناك فرق بين أدوات الطمع وأدوات التنفيذ للطمع، وأدوات التنفيذ كثيرة، تشمل على باقى الجوارح، فاليد تنفذ السرقة طمعا، والأقدام تسعى فى الحرام، والفرج أداة تنفيذ، وأيا كانت أدوات التنفيذ، فكلها أتت من أدوات الشهوة وهى السمع والبصر، فتحرك القلب، وسبحانك ربى حين قال {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَوَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا}. (الإسراء: ٣٦) فهذه الآية الكريمة مضمونها التحذير من أن تسمع ما لا يحل لك، أو تنظر ما لا يحل لك أو تعتقد ما لا يحل لك، فأنت مسئول عما سمعت وعما نظرت إليه وعما اعتقدته بقلبك، والفؤاد هو القلب، والإنسان مسؤول عن سمعه وبصره وفؤاده، فعلى المؤمن أن يتقى الله فى سمعه وبصره وقلبه، وألا يسمع ما حرم الله عليه، فالتحذير قد جاءنا فى الآية، وعلى الرغم من ذلك، نرى ما لا يحمد عقباه بيننا، والسبب {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}. (١٤) آل عمران، فكل ما زين لا يرى إلا بالعين والسمع:

مرئى العين كم فيك من مَطْمَعٍ
من الأذن سحر لايفيق من مُسْحِرٍ
فالطمع فقر كم تبقى من مُطمَّعِ
واليأس غنى من طمع من أطعم

ولنرى ما دور الشيطان فى ذلك، {وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّى جَارٌلَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّى أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّى أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ}. (٤٨) الأنفال.

ولنرى كذلك {وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ}. – العنكبوت ٢٩

ولنرى أيضا {وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ}. (٢٤) النمل، وفى هذه الآيات نرى كلمة زينة، والزينة والتبرج تدعو للطمع، وإذا كانت الزينة كما زينها الشيطان فإنها تؤدى إلى أشياء منها، أن الزينة

التى يصورها الشيطان فى أعين الناس للطمع، تؤدى إلى الفقر، فهى صد عن السبيل، وهى تؤدى إلى العمى، وهى تؤدى للغواية، ان الطمع كما تقول الأمثال يقل ما جمع، فكما ذكرت فى أن الطمع فى الشيء أى اشتهاه وأراده كما ورد فى القرآن الكريم بمعنى اِشْتَهَاهَا أو أَرَادَهَا فى سورة المعارج آية ٣٨ **{أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ}**.

هذا من ناحية مبسطة، أما أمثلة الطمع كثيرة، والهدف من وراء الطمع هو الحصول على اكبر كسب ممكن من يد الغير أو انتزاعه أو الاستيلاء عليه فالطمع هو الباب الخلفى للسرقة وانتهاك الحقوق، ومهما بلغت درجة الطمع سواء فى العلاقات أو على مستوى المعاملات الاقتصادية بين الدول الكبرى فإن الطمع صورة مرادفة لمعنى الاستعمار، إن الاستعمار يطمع فى استعمر ما فى أيدينا، ونحن نطمع فيما بين أيدينا وكل مطمع يكمع فى مطمع، وهكذا حتى أصبح الطمع مثل الطفيل حين يجد مناخا مناسبا من الشياطين فى الأنس والجن تصبح الدنيا برمته حربا ضروسا لا هوادة فيها، إن قتال الشعوب هو طمع فى الثروات وما الشعوب الا أفراد تحكمهم قلة ذات أطماع كثيرة، وحين قال عمر بن الخطَّاب رضى الله عنه: «تعلمن أنَّ الطَّمع فقر، وأنَّ اليأس غنى»، لقد قال على رضى الله عنه: «أكثر مصارع العقول تحت بريق المطامع»، وذكر أيضا أنه قال ما الخمر صرفًا بأذهب لعقول الرِّجال من الطَّمع، الطامع فى وثاق الذلِّ.

إن القلوب إذا طمعت غمت العيون فتستغلق، وان الطمع يُذهب العلماء إلى طلب الحوائج من الناس، والطمع مفسدة الشعوب، والطمع هو ضعف عقيدة وشك فى المقدور، يهين صاحبه، والطمع منه ركن خوف وركن شهوة وركن غضب، لأن فيه اشتهاء، والمشتهى هو من اشتهى الشَّيءَ واشتدّت رغبتُه فيه وحرصُه عليه، وتمنَّته نفسُه، ويرغب فى الحصول علية بأى طرق، ونسى الإنسان أن المقادير بيد الله.

المقال السابع
جغرافيا الصراع فى الحياة

هذا الإنسان، هذا الكائن البشرى، هذا المخلوق ما أكثر عجائبه، إنه عامر الكون، حامل الرسالة، فالحياة ارض وسماء وإنسان، فهذه جغرافيا الحياة، نعم جغرافيا الحياة، والجغرافيا تعنى علم ظواهر الأرض، وتوزيعات الحياة النباتية والبشرية، والمحور الرئيسى بها هذا الإنسان سلالة سيدنا آدم، **{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى الْبَرِّوَالْبَحْرِوَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}**. (٧٠)

ألم تجد فرصة لتفكر كيف أنعم عليك بتفضيل الله لك عن العالمين، فكلمة كرمنا هى تضعيف كلمة كرم، أى للإنسان شرف وفضل، هو كرم نفى النقصان فى الخلقة لا كرم المال، لقد سخر الله الدنيا وفضل بنى آدم على العالمين، لقد خلقت الدنيا بنعيمها، للإنسان فى جغرافيا الحياة وما تحيط به من طبيعة، ولنرى قصة الصراع الجغرافى للإنسان، إنها قصة صراع الخلائق مع الإنسان، فهل تأملنا

الصراع الجغرافى فى الزمان والمكان لنرى قول الله ،سبحانه وتعالى، تأمل الآيات جيدا لتعلم انك مستهدف منذ ولادتك حتى مماتك، فلم لا تدافع عن النعيم المحيط بك، لم لا تحمل أمانتك المكلف بها لتعود إلى خالقك؟ تحمل على عنقك الأمانة كاملة غير منقوصة، لم تنتبه إلى الصراع منذ البداية، لأنك لم تقرأ فى كتاب الله جغرافيا الصراع الأبدى حتى يرث الله الأرض وماعليها – انظر إلى الآيات من ٧١– ٨٨ من سورة فى صورة ص **{إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَوَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَى أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍوَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ**

عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥) قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ}. (٨٨).

وصف الصراع فى جغرافية الحياة للإنسان، وهذه هى المعركة الحقيقية، وإن الخلاف ليس بين البشر بعضهم بعضا إنما الخلاف بين البشر وإبليس، فإذا رأيت خلافا فاعلم إن إبليس خلفه، وإذا رأيت المشاكل فاعلم أن الشياطين خلفها إنه صراع الجغرافيا، هذا الكائن الصغير فى حجمه، محدود فى قوته قصير الأجل، محدود فى المعرفة، نال الكرامة الربانية، وانظر كيف نال الإنسان هذه الكرامة، هذا المخلوق فى الكوكب الأرضى، التابع الصغير من كوكبه الأرضى والذى هبط إليه بعد معصيته، إنها جغرافيا الصراع، أرض تابع من توابع النجوم، وهناك ملايين تحيا على الكوكب الأرضى مع ملايين الأجناس، وفضاء لا يعلم مداه غير الله وأنت تميز، ألا تعتز بذلك، ألا تتمسك بالنفخة الربانية فيك، نفخة روحية، فما أضعفك حين تنكر فضل النعم وتبتر العيش وتتذمر، وتنسى فضل الله عليك فى قوله {**وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**}.(الإسراء٧٠) ألا تدرى أن الغيرة والحسد من سائر المخلوقات تجعلك فى موقع المهجوم عليه وضده، فانتبه حتى تعلم كيف يكون صراع التربص جاء من صراع التفضيل، صراع التفضيل على سائر المخلوقات حتى تسجد لك الملائكة، وهم فى مرتبة عالية عند الله، فكر فى الأسباب، واعلم أن السر خفى ولكنه بداخلنا، نستطيع أن ندركه بشكر النعم، فكلما شكرت النعم صفت لك الدنيا، إن هذا السر العظيم محل الصراع فى صراع التفضيل، وإذا تخلى الإنسان عن هذا التفضيل ورسالته وسعى فى خراب الأرض ارتد إلى أصله من طين، تأمل الآيات الكريمة لتعلم حدة الصراع بين إبليس مع خلق التفضيل لآدم {**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**}. **(ص : ٨٢-٨٣). لقد امتثل الملائكة لأمر الله كلهم إلا إبليس{ إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه}**. ، إن صراع المخاصمة بين إبليس والله عز وجل هى الحكمة

فـى خلـق البشـر، فإبليـس رأس الشـياطين، وهـو المتمـرد، والجمـع أباليـس وأبالسـة،

وخصومـة الادعـاء مـن إبليـس حـين قـال أنـا خـير منـه؟ فأبلـس مـن رحمـة ربـه ولـذا سمـى إبليـس، فتوعـد إبليـس **{فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين}**.(ص :٨٣)، وأيضـا قـال إبليـس **{لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلاً}**.انظـر ايهـا الإنسـان للصـراع الدائر وكيف دافـع الله عنك، فهل رددت هـذا التكريـم وعظمـت ربـك حـين قـال: **{إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً}**. يـا الله، فـى الآيـات، إنهـا تصـف عجـز الكلمـات عن صـراع الجغرافيا الزمنيـة والمكانيـة، إن احتـداد الصـراع الجغرافـى والتوعـد الزمانـى والمكانـى يصـل بنـا إلى قـول الله تعـالى حـين يتبـع الإنسـان شـيطانه (فـى خطـاب إبليـس لربنـا عـز وجـل **{قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلاً}**.الإسـراء ٦٢- إذن الصـراع الجغرافـى فـى الكائنـات مـع الشـيطان والإنسـان فكيـف تكـون المجاهـدة، هنـا السـؤال، الشـيطان يملـك سـلاح الزينـة وأنـت تملـك العقـل الـذى ميـزك عـن العالمـين فكيـف تسـلب الزينـة العقـل هنـا القضيـة فـى الصـراع، فصـراع الجغرافيـا المكانيـة والزمنيـة يحتـاج إلى أدوات فالشـيطان أدواتـه، الزينـة، والشـيطان متلبـس فـى النفـس الأمـارة بالسـوء، داخلنـا فأصبحنـا محاصريـن بعنصريـن همـا الشـيطان فـى غوايتـه وزينتـه، وقريـن بداخلنـا، والعقـل بالمجاهـدة، والنصـر لمـن، فالفـوز فـى المعركـة الجغرافيـة رصيدهـا الجنـة للفائزيـن والنـار للخاسـرين **{قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين}**. (ص :٨٥)، إنـه قسـم الله نـراه فـى آيـة أخـرى **{ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين}**. السـجدة ١٣ إنـه احتـدام الصـراع ونتائجـه المعلنـة منـذ خلـق الإنسـان فانظـر للآيـات مـن سـورة الإسـراء فـى مناظـرة الصـراع التفضيلـى مـن كـرم الله علـى الإنسـان فهـل ينتبـه البشـر لذلـك **{قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُوراً (٦٣) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً (٦٤) إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً}**. (الإسـراء ٦٣ -٦٥).

ومعيار الصراع لخلق البشر كما خلقنا الله سبحانه وتعالى فى الآية **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}**. **(الحجرات :١٣)**.

إنه مفتاح التقوى ضمن أسلحة الصراع، التى يتحكم العقل فيه، فانظر إلى معركة الصراع التفضيلى، وكيف أن الله معك منذ البداية، فاشكر ربك واحمده وقل: **{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)}**. **(الفاتحة)**.

إن الصراع الجغرافى للإنسان هو صراع انتقل من السماء إلى الأرض، صراع بين الإنسان والشيطان وذريته وأتباعه من الإنس والجن، إنه صراع التفضيل، ، فمن سينتصر فى النهاية؟ وإن أدوات الصراع بين الطرفين تتمثل فى الغواية والزينة من جانب الشيطان، وسلاح الإنسان عقله وتقواه والرضا، والصبر مقياس الزمن ورأس الجسد، وفراق الرأس يفسد الجسد، وفراق الصبر فساد الأمر، فهناك علاقة طردية بين الزمن والصبر والفوز، فمن سيربح الجنة؟